إنتاجنا الفكرى بين الحربين العالميتين

١٩١٤ - ١٩٣٨

للأستاذ سامى الكيالى
العضو المراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
والأستاذ المحاضر بالمعهد

١٩٢٢

لم يتميز عام ١٩٢٢ بصدور كتاب له قيمته وخطره سوى الطبعة الثانية من « ذكرى أبى العلاء » الذى أقبل القراء على تلاوته باهتمام.. ورسالة تاريخية عن « عمرو بن العاص » للأستاذ حسن ابراهيم حسن الذى نال عليها شهادة العالمية فى الأدب،. والرسالة صفحة من صفحات البطولة ، وتاريخ بطل من أبطال الشرق ، وقائد من قواد الإسلام لايقل أهمية ،كما يقول المؤلف عن نابليون وبسمارك وغيرهما من قواد الغرب وساسته .

وصدرت بعض قصص عالمية لم يكتب لترجمتها الخلود كقصة « بطل ترواده » ، وهى ملخص نثرى لأوذيسة هوميروس عن بطل طروادة عرّبها نقولا يوسف . كما صدرت رواية « هملت » لشكسبير مترجمة بقلم سامى الجريديني ، و« تاجر البندقية » مترجمة بقلم خليل مطران . وصدرت رواية « مذكرات بغى » لمحمد رأفت الجمالى ، وهى تصوير دقيق لبعض مباذل الحياة فى مصر . وقد لاقت رواجاً كبيراً لدى الشبان وطبعت فى نفس العام طبعة ثانية ! بينا كان حظ « هملت » و« تاجر البندقية » شبه الإهمال

(*) توفى إلى رحمة الله تعالى فى حلب يوم ٢١ من فبراير سنة ١٩٧٢ م — والمجلة فى المطبعة — العالم العربى المرحوم الأستاذ سامى الكيالى .

وأسرة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة تبكى فيه العالم الحجة فى اللغة العربية وآدابها ، وتتقدم إلى أهله وذويه بخالص العزاء .

إلا من الطبقة الخاصة التى تتذوق الأدب وتعرف للمؤلف وللمترجمين قدرهما .

وصدر لخليل شبيوب، وهو لاذقى الأصل ومقيم فى الاسكندرية ديوانه « الفجر الأول » .

وكان للشئون النسائية عنايتها من الكتّاب فصدر كتاب « المرأة والتاريخ والشرائع » لمحمد جميل بيهم . كما صدر كتاب « المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها » للشيخ عبد الله العفيفى . وتضمنت فصول الكتابين ، رغم اختلاف نهجيهما ، مباحث طريفة عن المرأة قديماً وحديثاً .

وأصدر الأستاذ إلياس الغضبان ، وهومن أدباء حلب، وقد استوطن مصر منذ فجر صباه ، كتاب « قانون الزواج » وهو كتاب نفيس يحتوى على مباحث سيكولوجية واسعة فى نواميس الزواج الطبيعية وشروطه الصحية والفسيولوجية ، وأغرب حوادث المتزوجين الطبيعية والطبية وآخر التطورات فى تحليل الجنس .

وهناك عدة كتب ورسائل فى الاقتصاد والتشريع والفلسفة وعلم النفس والدين أشير إلى أهمها :

محاضرة فى القضاء والإسلام للأستاذ عارف نكد . وهو من كبار رجال القضاء فى سورية . وكتاب « علم الاقتصاد والحياة اليومية »للسير بنسون أستاذ الاقتصاد بجامعة اكسفورد عرّبه حسين نامق . و « تاريخ الجمعيات الوطنية » للأستاذ عبد الرحمن الرافعى تناول فيه تاريخ النهضات القومية فى فرنسا وأمريكا وألمانيا وبولونيا والأناضول. و« روح القومية » لمكس نوردو عرّبه عادل جبر . و« التربية العقلية » مترجمة عن التركية بقلم الدكتور بيازيد . و « تاريخ الفلسفة »لحنا أسعد فهمى.وغير ذلك مما قذفته المطابع وابتلعته رفوف المكتبات دون أن تترك أى أثر يجدر الإلماع إليه .

* * *

لقد مر ثلاث سنوات على انتهاء الحرب الكبرى ، وعادت النفوس أو كادت ، إلى طمأنينتها ، وخلال ذلك نشبت « الثورة المصرية » وهبّت الشعوب الشرقية تطالب باستقلالها وإقرار سيادتها وخلق كيانها فهل تأثر الأدب بهذه الفورات القومية واليقظات السياسية .

وما هى الكتب التى صدرت على مدى هذه الانتفاضات ؟

فالواقع ، أنه لم يصدر كتاب واحد يعرض إلى تصوير هذه الوثبات السياسية فى الشرق العربى . ولا إلى تصوير مظاهر النهضة تصويراً دقيقاً .. وكأنما اكتفى الأدباء بما كانوا يقرأونه كل يوم من المقالات التى يحبرها رؤساء تحرير الصحف بحماسة وطنية بالغة ، وأكثرهم من فحول الكتاب .

ولو جمعت تلك الافتتاحيات فى كتاب ، لوقع القراء على صور رائعة فى تحليل الشعور العارم الذى هز النفوس فى تلك الفترة نحو الحرية والسيادة. وهى من موضوعات « الأدب الصحفى » الوثيق الصلة بالحركات القومية التى يجدر بالباحثين أن يتناولوها بالدرس .

* * *

وفى زحمة هذه الوثبات القومية صدرت رواية « قميص من نار » لأديبة الترك خالدة أديب ترجمها محب الدين الخطيب ، وهى رواية قومية عنيفة تصور نهضة الأتراك وثورتهم الدموية عقب الحرب الكبرى وبعد احتلال استانبول .. ثمة رسالة عن « سيرة مصطفى كمال » بقلم أمين سعيد وكريم ثابت ..

أما فى النواحى الأدبية فهذا هو محصولنا خلال هذا العام :

كتاب « الفصول » للأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو مجموعة ما كتبه فى الصحف والمجلات من أبحاث ودراسات أدبية قيمة ، وقد أقبل عليه الأدباء يقرأونه باهتمام بالغ .

كما صدر ثلاثة كتب للآنسة مى ، وهى « ظلمات وأشعة » و « سوانح فتاة »

و« المساواة » . والكتاب الأخير من القيمة بمكان ؛ فقد بحثت فيه الكاتبة الموهوبة أظهر مشاكل القرن العشرين فعرضت إلى الاشتراكية والفوضوية والأرستوقراطية بكثير من التوسع والدقة والرأى الرجيح ، وبنزعة إنسانية وشعور مرهف امتازت به الكاتبة فى معالجة هذه القضايا المعضلة الشائكة فى تلك الفترة — وقد استقبله الأدباء بالترحاب ، وعقد أكثر من كاتب عدة فصول متتابعة عن هذا الكتاب ، وكانت أوسع البحوث والمقالات البحث الذى عقده الأمير شكيب أرسلان فى مجلة « المجمع العلمى العربى»[1] .

وأصدر شاعر النيل « حافظ ابراهيم » الجزء الثانى من رواية «البؤساء» لفيكتور هوغو ، وكان قد صدر الجزء الأول قبل الحرب الكبرى . وتوفى الشاعر دون أن يكمل ترجمة هذا الأثر ، وأخذ عليه النقاد فرط عنايته بالصياغة اللفظية عناية دفعته أن يتصرف بالترجمة تصرفاً أخلّ ببعض فصول الرواية .

هذا وكان المرحوم طانيوس عبده قد نشر ترجمة كاملة لهذه الرواية ، ولكنها لم ترتفع إلى مصاف الكتب الأدبية بل ظل مستواها بين الروايات الرخيصة .

وصدر كتاب« من والد إلى ولده » للأستاذ أحمد حافظ عوض ، وهو من شيوخ الصحافة المصرية وصاحب جريدة « كوكب الشرق ».والكتاب رسائل توجيهية مشرقة الأسلوب كان يرسلها إلى ولده جمال الدين الطالب فى الجامعة الأميركية فى بيروت ، وهى تتضمن نصائح ثمينة فى اختيار المهنة والسلوك وتعلم اللغات وما إلى ذلك من الآداب الخلقية .

كما صدر كتاب « العواصف» و« البدائع والطرائف» لجبران خليل جبران . وهما يتضمنان نفحات شعرية من الأدب الرمزى . وجبران إلى

---

(١) المجلد الرابع الجزء الثانى عشر .

شهرته بمعالجته الحياة ومشاكلها عن طريق القصة ، فهو من أئمة الأدباء الرمزيين . وطريقه أقرب إلى الأدب الصوفى منها إلى أى أدب آخر .

وصدرت دراسة ممتعة عن « أبى الطيب المتنبى » : حياته وخلقه وشعره وأسلوبه بقلم محمد كمال حلمى أثنى عليها المستشرق الافرنسى بلاشير بتحفظ. ويظهر أن النسخ المطبوعة من هذه الدراسة محدودة العدد ، فلم تكد تظهر حتى اختفت ، وفى رواية أن المؤلف تقدم بها إلى الجامعة المصرية لنيل درجة العالمية ولما لم يحرزها طوى الكتاب .

لقد وقع هذا الكتاب بيدى وأنا فى أول نشأتى الأدبية فقرأته باعجاب ثم افتقدته ، ولم أعثر عليه فى المكتبات ،ولا أعلم شيئاً عن مؤلفه ، قد يكون من موظفى الدواوين فى مصر ، وهو من المولعين بالمتنبى وشعره فكتب كتابه هذا الذى انطوى وانطوى معه ذكرمؤلفه !

وصدر كتاب « سر النجاح » ليعقوب صروف . و « نبضات الفؤاد » لفؤاد صروف .

ونشر المستشرق الانكليزى مرغليوث كتاب« جامع التواريخ » المسمى « نشدان المحاضرة وأخبار المذاكرة » عن نسخة مخطوطة فى باريس .

وترجم الدكتور طه حسين « روح التربية » لغوستاف لوبون .

وصدر عن دار الكتب المصرية كتاب « أساس البلاغة » للزمخشرى . كما صدر كتاب « أدب الكتاب » للصولى . وعن حيدر أباد الدكن كتاب «كيف يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » لأبى نصر الفارابى . و« الألفاظ التركية والفارسية الباقية فى اللهجة الجزائرية » للشيخ محمد بن شنب أستاذ الأدب فى جامعة الجزائر ، وله أيضاً « أبودلامة الشاعر الهزلى فى بلاط الخلفاء العباسيين » وهو بالافرنسية .

* * *

فإذا تركنا الأفق الأدبى الخالص نجد فى رحاب الدراسات التاريخية أيضاً كتاب « حياة صلاح الدين » للدكتور أحمد البيلى ، وهو كتاب قيم

نال عليه لقب دكتوراه من الجامعة المصرية . وقد ألمع الدكتور طه حسين إلى قيمة الكتاب بقوله :

« أظهر الدكتور البيلى فى هذا الكتاب وجهاً من وجوه الشخصية المصرية التى حمت الحضارة مرات ، فعصمت حضارة اليونان وفلسفتهم من الضياع ، وصدّت غارات الصليبيين عن الشرق وأهله ، فاستبقت الحضارة الإسلامية حياتها وقوتها . ثم ذادت التتار عن هذا العالم الإسلامى أيضاً . وكانت آخر معقل أوت إليه آناء المسلمين العقلية والأدبية فظلت فيه آمنة حتى أتيح لها هذا العصر الذى نحن فيه ، والذى أخذ يبعث فيها القوة والحياة » .

كما صدر تاريخ « محمد على » لإلياس الأيوبى . وصدرت رسالة صغيرة للأميرة قدرية حسين عن « ملكة قرطبة » . وترجم فؤاد صروف « مذكرات سفير أمريكا فى الاستانة » ، وتناول الكثير من الأسرار عن العوامل التى أثارت الحرب الكبرى .

ونُشر كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » لأبى الريحانى الخوارزمى البيرونى . وسبق أن طبع هذا الكتاب فى ليبزج سنة ١٨٧٦ م .

وصدر فى سان باولو كتاب « بواعث الشجون فى رثاء فرح أنطون » .

وكتاب « تاريخ الحركة الاستقلالية فى ايطاليا » للدكتور محمود عزمى ، و« تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ — ١٩١٠ » لتيودور ورنستون وترجمه عن الانكليزية الأستاذان عبد الحميد العبادى ومحمد بدران . و« تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩ م » فى جزءين كبيرين لإلياس الأيوبى . و« سر توسع أوربا الدولى » لعبد الرحمن زهدى . و« حقيقة الحرب العالمية الأولى » وقد عرّبه أحمد شكرى . و« الحملة المصرية .. أو من باريس إلى صحراء التيه » ألفه بالتركية على فؤاد بك ونقله نجيب الارمنازى . و« السياسة الدولية » نقله عن الانكليزية الدكتور عبد الرحمن شهبندر وهو فى منفاه فى جزيرة « ارواد » . و« الحالة الدولية فى سورية » لإحسان الشريف ، وهو أطروحته التى تقدم بها إلى جامعة السربون ،

تحدث فيها عن أحوال سورية وتاريخها قبل الحرب الأولى وأثناءها وبعدها وخلال عهد الانتداب الافرنسى . و« سورية ملتقى الأمم » لهنرى مامبسيه تعريب سليم شهاب . و« الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض » لسليم قبودان .

ونلاحظ أن أكثر هذه الكتب تتصل بأحداث الحرب وما بعدها بقليل، وفيما يتصل بالسياسة الدولية حول الشرق الأوسط وكنوزه وخيراته .

* * *

هذه أهم الكتب التى صدرت فى العام ١٩٢٢ . فاذا استثنينا ما أصدره أساتذة الجامعة المصرية ، خلال العام ١٩٢١ ، رأينا إنتاج هذا العام أكثر قليلا من العام الذى سبق ، وهذا يشير إلى أن الفكر العربى يسير سيره المتئد ، ويلحظ الأحداث العالمية بوعى يدنيه من الحضارة التى تسود العالم .

ونقف لنسأل ما الذى جدَّ فى العام ١٩٢٣ من المؤلفات الجديدة ؟

١٩٢٣

امتاز هذا العام بازدياد حركة النشر ، وهى زيادة وإن تكن غير مضطردة إلا أنها تنم عن أن الفكر العربى أخذ يتجه اتجاهاً إيجابياً فى رسم تأملاته وفى الإعلان عن يقظته ؛ فقد نشر الأستاذ محمد كرد على كتاب « غرائب الغرب » وهو مجموعة مقالات ودراسات كتبها عن رحلاته إلى أوروبا وإلى مختلف بلدان الشرق العربى . وعلاقة الشرق بالغرب ، والغرب بالشرق منذ عهود طويلة ولاسيما صلاته بالعالم الإسلامى ، والعالم العربى بصورة خاصة فى جنوبى ايطاليا وفرنسا والأندلس . وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد كلمة وصف الكتاب بقوله : « إنه معرض جامع نطلع فيه على أحوال بضع عشرة أمة من أمم الغرب والشرق تختلف فى كثير من الأشياء ، وتتفق فى كثير من الأشياء ، والمؤلف الفاضل يلمُّ بوجوه الاختلاف والاتفاق كأحسن ما يلم بها السائح المطلع ، وينتقل من ناحية إلى ناحية تنقّل العارف الخبير ،

ويقف من حين إلى حين ليذكّر ويحذّر . ويضاهى بين ماعند الغربيين وما عندنا من عوامل الحياة والتقدم فيكتم ألمه تارة ، ويلقى إليك تارة أخرى بكلمات حكيمة أليمة[1] » .

كما نشر الأستاذ كرد على رسالة قيمة عن « غابر الأندلس وحاضرها » وهى دراسة وتأملات قيمة ، وأحاديث وعبر عن فردوسنا الإسلامى المفقود .

وأصدر أمين الريحانى الكاتب العربى المفكر المسمى بفيلسوف الفريكة كتاب « الريحانيات » بأجزائه الأربعة ، وهو مجموعة خطبه ومقالاته وشعره المنثور . وكلها ترمى إلى بذر بذور الحرية والإصلاح ، ومقاومة الظلم والاستبداد فى بلدان الشرق ، وبعض هذه المقالات والخطب كتبت قبل الحرب العالمية الأولى . وهى ذات نزعة ثورية صارخة .

كما صدر كتاب « النبى » لجبران خليل جبران ، وقد تضمن عدة فصول ومقطوعات شعرية تصور الإنسان المثالى الذى يرقى إلى مقام الأنبياء ؛ فقد نثر آراءه فى الحب والزواج والأطفال والثراء والطعام والشراب واللذة والألم — آراء تطالعها فتشعر أنك فى عالم إنسانى حلم به ذلك النبى الملهم الذى ، سمه جبران بفيض من فلسفته الرمزية .

وصدر كتاب « النصرانية وآدابها فى القرن التاسع عشر » للأب لويس شيخو . و« النسمات » للكاتبة اللبنانية سلمى صائغ وهى من أبرع كاتبات بيروت وأغزرهن مادة وتفكيراً .

وأصدر الدكتور أحمد عيسى كتاب « التهذيب فى أصول التعريب » وهو كتاب قيم تضمن تاريخ اللغة العربية ، وأمثل الطرق للتعريب الصحيح .

ونُشرت ترجمتان لرباعيات عمر الخيام : إحداهما عن الفارسية للشاعر أحمد رامى ، والثانية عن الانكليزية للمرحوم محمد السباعى . والأولى أسلس لفظاً أما الثانية فأمتن لغة .

---

(١) مطالعات فى الكتب والحياة للعقاد ص ١٨٤ .

ونُشرت رواية « الانتقام » للمنفلوطى ، و« تذكرة الكاتب » لأسعد خليل داغر ، وتتضمن التنبيه على أهم الغلطات اللغوية الدائرة على ألسنة الخطباء وأقلام الكتاب .

وأصدر أحمد عبيد فى دمشق كتاب « مشاهير شعراء العصر » جمع فيه طائفة من شعر شعراء مصر وسورية والعراق ، مع موجز ترجمة كل واحد منهم .

كما أصدر رفائيل بطّى من أدباء بغداد « الأدب العصرى فى العراق العربى » ويضم تراجم أدباء العراق .

ونُشر للآنسة مى كتاب « ظلمات وأشعة » وهو فصول عن حيرة النفس وضلالاتها ، وأمنياتها وآمالها ، والسعادة الضائعة التى تتطلبها كل نفس فى هذا الوجود .

ونشرت مذكرات مسز اسكويث معرَّبة بقلم منيرة صبرى .

وأصدر الأستاذ اسماعيل مظهر رسالة عن « مذهب النشوء والارتقاء » عالج فيها موضوع النشوء وعلاقته بمذهب المادية مع عرض لآراء الدكتور شبلى شميل . والرسالة فى فصلين أولها : الرأى المادى ومذهب النشوء . والثانى المذهب الداروينى والمادية .

وصدرت رسالة للأديب الفلسطينى إسعاف النشاشيبى عنوانها « قلب عربى فى عقل أوربى» وهى محاضرة ألقاها فى الجامعة الأمريكية فى بيروت عبَّر فيها عن نزعات الفكر العربى فى نهضتنا المعاصرة .

وأصدر العلامة السيد محمد رشيد رضا كتاب« الخلافةوالإمامة العظمى» تناول فيه فكرة الخلافة فى الأسلام فدافع عنها دفاعاً حاراً وشجب أعمال « الكماليين »[1] الذين فصلوا الدولة عن الدين وقرروا إلغاء الخلافة .

---

(١) نسبة إلى الغازى مصطفى كمال — أتاتورك — الذى حرر تركيا من احتلال الحلفاء عقب الحرب العالمية الأولى .

وأصدر عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة « البيان » التى كانت تصدر قبل الحرب الكبرى كتاب « حضارة العرب فى الأندلس » .

وترجم أحمد شكرى « مذكرات جمال باشا » السفاح التركى الذى علق مشانق أحرار العرب فى دمشق وبيروت . وتدور مذكراته حول السياسة التركية إزاء أوروبا والعرب .

وصدر لخير الدين الزركلى كتاب « ما رأيت وماسمعت » وهو كتاب ممتع وصف فيه دمشق بعد دخول الافرنسيين إليها ونزوح الملك فيصل وحاشيته ورجالاته عنها ، وفيه معلومات شيقة عن تلك الفترة التى مرت كالحلم .. وفى الكتاب إلماع إلى ما رآه وشاهده فى بلاد العرب .

كما أصدر محمد مهدى بصير « تاريخ القضية العراقية ». وترجم محمد صادق رستم كتاب « مقدمة الحضارات الأولى » لغوستاف لوبون .

ونُشر من الكتب القديمة كتاب « الدين والدولة » لعلى بن الطبرى المتوفى سنة ٢٥٤ هـ أحد حكماء طبرستان النصارى ، وفى رواية أنه يهودى أسلم ، وهذا أصح . وقد ساعده فيه جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، والغرض منه اثبات نبوة النبى صاحب الدعوة الإسلامية. والكتاب موضوع على الطريقة الجدلية المألوفة فى مثل هذا النوع من الكتب الدينية ، وقد طبع عن نسخة عربية فى مكتبة الأستاذ منجانه بمنشستر [1] . كما نشر فى ليبزيغ كتاب « تحفة الدهر فى عجائب البر والبحر » لشمس الدين الدمشقى .

على أن كتاب هذا العام الذى أحدث شبه ضجة فى محيط الأدباء هو كتاب « الغربال » لميخائيل نعيمة الأديب المهجرى الذى بدأ حياته الأدبية بدراسات فى النقد ومقالات فى الأدب دلت على عمق ثقافته ونزعته الحرة فى تفهمه الدقيق لرسالة الأدب .

وصدرت كتب فى مختلف شئون المعرفة ككتاب « بسائط علم الفلك »

---

(١) الهلال : السنة ٣٠ ج ١ ، ٢

للدكتور يعقوب صروف و«الحقوق الادارية» لشاكر الحنبلى و« عمدة التحقيق فى التقليد والتلفيق » للشيخ محمد سعيد البانى دعا فيه إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه على أن يكون اجتهاداً رائده العقل والبصر . وصدر كتاب « تاريخ نجد » للعلامة العراقى محمود شكرى الألوسى و« تاريخ فلسطين» للأستاذين البرغوثى وخليل طوطح . وكتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنويرى ، وهو الموسوعة الأدبية النفيسة التى سافر لأجلها المرحوم أحمد زكى باشا « شيخ العروبة » ، إلى مختلف مدن الشرق والغرب للبحث عن نسخة المخطوطة فلما تيسرت له ، طبعته دار الكتب المصرية طبعاً متقناً .

وصدر فى حلب كتاب« إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » للشيخ راغب الطباخ ، وهو فى سبعة مجلدات ، جمع فيه أدق ما أثبته المؤرخون القدامى عن حلب على ممر العصور . وقد أخذ عليه العلامة محمد كرد على بعض المآخذ ، ومنها أنه جارى فى كتابته بعض من ألفوا كتب التراجم من القرون الوسطى فترجم للمجاذيب والممرورين والمهوسين ، وأغفل ترجمة النقاشين والمعمارين والمغنّين على نحو مافعل النجم الغزى فى « الكواكب السائرة » فانتقد رضى الدين الحلبى فى تاريخه « درر الحبب فى تاريخ حلب » لعنايته بتراجم النقاش والتاجر والمغنى والمطنبر والعاشق والمعمار وغيرهم ممن عدهم من العوام ، وجوّز لنفسه ترجمة المجاذيب ومن كان على شاكلتهم ... ثم أردف : كنا نأمل من المؤلف المعاصر أن ينقل على الأقل تراجم تلك الطبقة التى ترجم لها رضى الدين وعابه بها نجم الدين .. فإن ترجمة الشيخ أبى بكر ابن أبى الوفا المجذوب التى أطال فيها جداً لانهم المجتمع اليوم بقدر ما يهمهم التطويل فى تراجم بنى العديم وبنى الشحنة وبنى الكواكبى من الأسر العريقة فى العلم والمجد فى الشهباء ممن أخرجوا للأمة العربية عدة بطون اشتهرت بالفضائل والآداب . والإسلام يفخر بمثل هؤلاء لا بالمجاذيب وكرامات المغفلين والمخرفين[1] .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى المجلد ٥ ص ٤٣١

كما صدرت عدة كتب ورسائل وروايات ليس لها قيمة أدبية. ونلاحظ أن التأليف بدأ سيره المتئد . وهذا يؤرخ ومضات من اليقظة الفكرية التى لم تكن ذات اتجاه واحد ، بل شملت الكثير من الاتجاهات ، وخاضت الكثير من الميادين .

* * *

ونحب وقد مر خمس سنوات على استئناف العالم العربى نشاطه الفكرى والسياسى ، أن نقف وقفة قصيرة نستعرض بعض الظواهر الأدبية التى عرفها الشرق العربى خلال هذه الفترة .

فقد كانت العناية باللغة أظهر حوادث تلك الأيام ؛ فما كاد يتقلص ظل الأتراك عن سورية وفلسطين والعراق ، وتتأسس الحكومات العربية حتى سرت فى النفوس يقظة إحياء عربية — إحياء المجد العربى وبعث اللغة العربية بعد أن كادت تطغى عليها عجمة الأتراك . . ورأينا الكتّاب يندفعون فى التعبير عن هواجس القومية وما تركه العهد العثمانى من آثار سيئة . وما حاوله غلاة الأتراك من القضاء على كل ماهو عربى.

« أربعة قرون مرت على الأمة وهى تتخبط فى لجة عميقة حالكة من هذا الأوقيانوس الزخّار الذى نسميه الجهل ، فلا لغة تربطها وتوحد غاياتها ، ولا جامعة تشدها إلى بعضها شد الوثاق ، ولا تاريخ يجدد فيها روح الماضى المؤتلق ، وقد أسدل انحطاطها على ذكرى معاوية والرشيد والمأمون وعبد الرحمن غشاءً لاشى كل لغة ، وصوّح كل رونق ونضرة ، وقضى على كل غضارة حتى روعنا الأمر ، وصرخنا يا للخطب ..يا للخطب[1] ».

وكان تأسيس « المجمع العلمى العربى » فى الثامن من حزيران — يونيو سنة ١٩١٩ أولى ظاهرات اليقظة الفكرية . وفى بدء سنة ١٩٢١ أصدر رئيس المجمع الأستاذ محمد كرد على مجلة باسم « المجمع العلمى العربى » اشترك

---

(١) مجلة القلم العربى لمعروف الارناؤوط وسليم عبدالرحمن مجلد ١ ج ١ سنة ١٩٢٠ .

فى تحريرها الأساتذة الشيخ عبد القادر المغربى ، واسكندر عيسى المعلوف وصفوة من أعضاء المجمع . وكانت تستهدف خدمة اللغة العربية وآدابها وتوثيق عرى الارتباط بين أدباء العربية ، وتبادل الأفكاربين علماء المشرقيات ، والتراسل بين مجامعهم والمجمع العلمى العربى .

وتأسست فى دمشق، إلى جانب المجمع العلمى العربى ، جمعية« الرابطة الأدبية » ضمت من أدباء الشباب المتزنين ، والأصح أن نقول من أدباء الكهول الحريصين على خدمة اللغة العربية، وقد أصدروا مجلة باسم الجمعية لم تعش غير سنة . ثم أوقفت من قبل السلطة الافرنسية التى اعتبرتها أداة لا لخدمةالأدب بل للتعبير عن الحوالج القوميةالعربية مما يتنافى وروح الانتداب .

* * *

وفى بيروت ، عاصمة لبنان الكبير آنئذ تأسس مجمع علمى سنة ١٩٢٠ وأخذ على عاتقه السعى لترقية اللغة وآدابها مع إنشاء المشاريع الأدبية ، ولكنه لم يعش غير سنة واحدة ، بخلاف زميله مجمع دمشق الذى ما زال يوالى رسالته ، منذ نصف قرن ، إلى يومنا هذا .

وإذ كانت العجمة سائدة لغة الكتاب الناشئين ، ولغة الدواوين بصورة خاصة ، فقد أخذ المجمع .. وبعض الغيورين على اللغة فى سورية ولبنان — أخذوا على عاتقهم إصلاح هذا الخلل بمقالات متتابعة كانت تنشر تباعاً على صفحات الصحف لتصحيح الكلام الذى داخلته العجمة .

فالعناية باللغة كانت أهم الظاهرات الأدبية التى عرفتها سورية فى هذه الفترة .

* * *

أما فى مصر .. فما كادت الحرب الكبرى تضع أوزارها حتى هبَّ المصريون هبة رجل واحد يطالبون انكلترا أن تفى بعهودها .

ماذا كان جواب انكلترا ؟

لقد قبضت على سعد زغلول وثلاثة من صحبه ونفتهم إلى مالطة فى العاشر من شهر آذار — مارس — سنة ١٩١٩ .

وهنا اشتعلت مصر . وقامت فيها ثورة لاهبة فطغت الأحداث السياسية على كل شيء ولم يفسح المجال للمشاريع الأدبية ، وانصرف الكتاب والأدباء إلى تحبير المقالات السياسية والموضوعات الثورية التى لها علاقة بتاريخ الثورات ونهضات الشعوب ، فامتلأت بها أنهار الصحف اليومية . وكانت جريدة « السياسة » — لسان حال حزب الأحرار الدستوريين — أكثر الجرائد عناية بالناحية الفكرية والتيارات الأدبية الجديدة ففتحت صدرها لكبار الأدباء يعبرون عن نزعاتهم ، وعهدت إلى الدكتور طه حسين بتحرير صحيفة الأدب فكان ينشر كل يوم أربعاء بحثاً واسعاً ، وكل يوم أحد تلخيصاً لقصة غربية . فأثارت بحوثه أنظار القراء ، ورأوا فيها حادثاً أدبياً جديداً خلال تيارات السياسة العاصفة .

وكانت « الجامعة المصرية » تؤدى رسالتها الفكرية بصمت ، وتضع الركائز لنهضة علمية أصيلة حيث تقوم الدراسات الأدبية والتاريخية على البحث المنهجى الذى يعتمد التحليل والرجوع إلى شتى المصادر لجلاء الفكرة التى يعالجها الجامعيون .

ورأينا المجلات الأدبية « كالهلال » مثلا تعير اللغة العربية الكثير من اهتمامها فتوجه استفتاءاً للأدباء وللمستشرقين عن «مستقبل اللغة العربية » وعن « تأثير المدنية الأوربية ومدى تأثير التطور السياسى فى الأقطار العربية » و« هل يعم انتشار اللغة العربية فى المدارس العالية وغير العالية وتُعلم بها جميع العلوم ؟ » وهل تتغلب الفصحى على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها ؟ .. وأخيراً ما هى خير الوسائل لإحياء اللغة العربية ؟

* * *

لقد وضع هذا الاستفتاء بضع نقاط استفهام كثيرة على ما كان يواجهه الفكر العربى ، فى تلك الفترة ، من معضلات ، وهو تصوير دقيق للهواجس التى كانت تجول فى نفوس الكثيرين من رجالات العرب الغيورين على اللغة العربية وتطورها واستجابتها لنزعات العصر .. فرأينا المستشرق الإيطالى جويدى يكتفى بالإلماع إلى ضرورة تكوين لغة كتابة سهلة يفهمها الجمهور

العربى وتكون مستقلة عن اللهجات العامية المختلفة ، على أن يبقى « الإنشاء الخيالى المفخم » و « أساليب البديع » خاصاً بالكتب ذات الصبغة الأدبية الصرفة .

ثم يطلب إدخال شىء من الإصلاح على طريقة الكتابة العربية ؛ لأنه موقن أن « الجنس العربى » سيلعب مرة أخرى دوراً خطير الشأن فى تاريخ الشرق والحضا ة .

أما المستشرق الأمريكى روشورد كوبنهل الأستاذ فى جامعة كولومبيا فيعتبر العربية أشبه بالانكليزية التى اجتازت البحار وقطعت القارات وغدت أساساً لمدنية جامعة ، ويرى أن المدنية الأوروبية ستحدث تأثيراً شديداً فى اللغة العربية ، ومع هذا التأثير ستحتفظ بكيانها فى المستقبل كما احتفظت به فى الماضى .

وأظهر الأب لامنس اليسوعى ثقته بمستقبل حسن للغة العربية على أن يتولى الحكم رجال يقنعون بأن مستقبل لغتهم يتوقف على اتحادها الوثيق مع المدنية الغربية .

وأجاب وليم ورل المستشرق الأمريكى : إن اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام أى لغة أخرى من اللغات التى احتكت بها ، وينتظر أن تحافظ على كيانها فى المستقبل ، كما حافظت عليه فى الماضى .

ورأى أن الاحتكاك بالمدنية الغربية سيكون له شأن متزايد فى تطور اللغة العربية .

وللغة العربية لين ومرونة تمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات هذا العصر . وليس مَن يشك أنه متى سنحت لها الظروف تستطيع أن تبلغ درجة من الدقة والوعى تمكنها من التعبير عن أسمى الأغراض العلمية . ويجوز إذ ذاك للجامعات الشرقية أن تُعلِّم العلوم باللغة العربية ، كما تعلم فى هولندا والدانمرك مثلا باللغتين الهولندية والدانمركية .

هذا رأى بعض المستشرقين .

ولنستمع الآن إلى آراء صفوة من أدباء الشرق وشعرائه .

فقد تمنى خليل مطران — بما تبذله مصر والشام من المجهودات العظيمة فى سبيل إحياء العربية — أن يكون مستقبلها زاهياً زاهراً .

ونادى بوضع « المعجم » كأساس لهذا الإحياء .

ورأى محمد كرد على : أن التطور السياسى سيكون من العوامل التى تساعد على ازدهارها وانتشارها .

أما جبر ضومط : فرأى أن ازدهار اللغة العربية منوط بإقرار حقوق العرب وصون كيانهم السياسى ؛ لأن اللغة العربية فرع من السياسة .

وجاراه فى هذا الرأى مصطفى صادق الرافعى الذى رأى أن لكل لغة وجهاً سياسياً ، كما أن لكل سياسة قوية وجهاً لغوياً ثم قال :

الشعوب قائمة على الاختلاف والتنازع ، وهنا مرضع الضعف والقوة فإن نهض أهل العربية وكتب لهم السلامة من تحكم المستعمرين وجنبهم الله هذه المحن التى هى فضائل السياسة ، فتلك نهضة العربية نفسها . وإن ضعفوا فذلك ضعفها .

وقال جبران خليل جبران :

إن مستقبل اللغة العربية هو رهن قوة الابتكار فى مجموع الأمم التى تتكلمها ، ورد ذلك إلى « ذاتيتها » . وقال عن التأثير الأوروبى : إن روح الغرب صديق وعدو لنا : صديق إذا تمكنا منه وعدو إذا تمكن منا .

ورأى أنطون الجميّل : ان مستقبل اللغة العربية مرتبط بالمستقبل السياسى للأمة العربية . وشاركه فى هذا الرأى أكثر من أديب واحد[1] .

* * *

فإذا بحثنا عن الحركات الفكرية فى سائر الأقطار العربية : فى الحجاز ، فى فلسطين ، فى العراق ، فى البحرين نرى انبثاقات شعورية ، وصيحات صارخة فى ضرورة بعث المجد العربى القديم وإحياء اللغة .

---

(١) الهلال : المجلد ٢٨

ونرى وجيهاً من كرام وجهاء العرب فى البحرين[1] يضع جائزة بعشرين جنيهاً لمن يكتب أحسن مقالة عن :

« .. ماهى الوسائل التى من شأنها ترقية اللغة العربية لتضارع اللغات الحية الراقية فى وفائها بحاجات هذا العصر ؟ ...

فيشترك فى المسابقة ثمانية وعشرون كاتباً من مصر وسورية والعراق والمهجر وغيرها .

ويفوز بالجائزة الدكتور نقولا فياض والأستاذ أنيس الخورى المقدسى ، وإذا بهما يتفقان فى الغاية وإن اختلفا فى الوسيلة .

فيرى الدكتور فياض ضرورة إنشاء « مجمع لغوى » وإصلاح طريقة التعليم وطريقة الإنشاء والتعليم الإلزامى والاختصاص بفروع العلم والنشر .

ويرى المقدسى ضرورة تهذيب « العقلية العربية وطرح « العانى من أوضاعنا اللغوية » وجعل العربية « لغة التدريس فى البلدان العربية ، وإنشاء « وقفية » يرصد ريعها لتنشيط التأليف والمؤلفين » .

وقد ردد هذه الصيحات أدباء العرب فى المهجر الأمريكى . وكانت « الرابطة القلمية » من أنشط الهيئات الأدبية التى عملت على تطور الأدب .

وإذ بجبران خليل جبران ، زعيم الرابطة القلمية ، يرسل صيحة من الأعماق عن دنو يقظة الجبابرة فيقول :

« .. هنالك ، ماوراء المضائق الحجرية ، فى تيه الصحارى الرملية ، رقدوا رقدتهم الأخيرة على أثر عودتهم من إخضاع المسكونة .

سرّحوا جيادهم ، وألقوا سلاحهم ، ووضعوا تروسهم تحت رؤوسهم . واستلموا إلى سلطان الكرى بعد أن أنجزوا عملهم ولم يبق من قطر يخضعونه .

ناموا وقد شبعوا من النصر ، وانتشوا بخمرة الوقائع ، وأمنوا الدهر .

هجعوا وتركوا أمجادهم لقومهم ، وبنوا عليها سوراً متيناً من السؤدد تحرسه عرائس الحوية .

وها قد مرت عليهم أجيال حبلت لياليها وولدت أيامها وهم نيام تمنعهم

---

(١) السيد عبد الله على آل زايد .

قيود المضاجع من أن يلموا بما أحاق بورثاء أمجادهم من رزايا عاصفات ذهبت بالحيمة والأوتاد .

قلب الدهر لشعبهم ظهر المجن فدكّ سور العز ، وانمحقت الأمجاد ، واغتصبت عرائس الحرية، وجعل أبناء شعبهم عبيداً لحَوَلم الأسبقين ، وبناتهم إماءً للمغتصبين ، وصيغت سيوف المغازى والفتوح قبوراً لأبناء الفاتحين ..

قد دنا ميعاد يقظة الجبابرة ، لأن لغطاً من الصيحات قد اخترق سكون الصحارى ، واتصل بالقفر البيد وراء المضايق الحجرية حيث يهجعون[1] .

* * *

وبدون التعليق على هذه التيارات والصيحات ، وعلى متباين الآراء فى مستقبل البلاد العربية نقول إن موجة عارمة من اليقظة القومية كانت تغمر الإنسان العربى الذى كان يؤمن إيماناً عميقاً بحرية العرب وسيادة العرب.

وكان الأدب وسيلة الإفصاح عن جميع هذه الخوالج التى أحسها العرب سياسياً وقومياً وفكرياً فى جميع أقطارهم .

وكانت أظهر الأحداث خلال السنوات الأولى التى أعقبت الحرب الكبرى هى :

١ — الاهتمام بتأسيس المجامع اللغوية .
٢ — الحركات السياسية والثورات القومية .
٣ — العناية بتطور اللغة العربية ومستقبلها .
٤ — يقظة الشعور العام .

هذا هو بعض ظواهر الأدب ، أو ظواهر الحركات الفكرية خلال هذه الفترة التى مرت بين سنتى ١٩١٩ — ١٩٢٣

ونعود إلى عالم الكتب — إلى محصولنا الأدبى وإنتاجنا الفكرى لنر ماذا قذفت المطبعة خلال الأعوام الخمسة التالية ، وماذا جدّ فى آفاق العالم العربى من أحداث أدبية وتيارات فكرية جديرة بالتدوين .

---

(١) مجلة القلم العربى العدد ١ السنة الأولى .